القطب الفني وحدود التأويل عند غادامير.

The Artistic pole and the interpretation limits of Gadamir.

عبد القادرشبوني*

تاريخ الإرسال: 2020/07/19	تاريخ القبول:2020/08/28	تاريخ النشر:.2020/12/30

الملخص:

إنّ الحديث عن مصطلح التأويل يقودنا حتما إلى البحث في جذور هذا المصطلح الذي له امتدادات في النقد، والذي راح يأخذ مفاهيم متعددة حسب تنوع الآراء واختلاف الأزمنة، إذ حاولنا في هذه المقال البحث عن حقيقة حدود التأويل وعلاقة النص بالمتلقي، ومحاولة النفاذ في أعماق هذا المصطلح من خلال تعدد القراءات لمختلف النصوص مرورا بمدرسة كونستانس الألمانية وقوفا عند أهم آراء الفيلسوف غادامير من خلال نظرته إلى علم التأويل ومن خلال تعدد مصطلحه كالفهم والتفسير والتأويل والتطبيق.

الكلمات المفتاحية: حدود،التأويل، النص، القراءة، الفهم.

Abstract:

Talking about " hermenitic" leads us to the search into roots of such a term . This term has profound links with the ancient legacy with many conceptions and various standpoints as well as different eras. We have tried in this speech to look into the real limitations of at which the term " hermenitic" would be ,and the link which would connect the recipient to the text and thus trying to get deeply into the very meening of this term through the many readings and understanding of the different texts taking into account the german school constance and stressing the most significant points of view of GADAMIR via his view to the science of hermenitic with the variation of terminology like perception, explanation, interpretation, and application and ending with a resume of such speech.

Key Worlds: limitation, interpretation, text, reading, perception.

المؤلف المرسل:عبد القادرشبوني abdelkader.chabouni1970@gmail.com

* المدرسة العليا للأساتذة : بوزريعة/ الجزائر abdelkader.chabouni1970@gmail.com

-مقدمة:

اهتمّت الدّراسة النّقديّة اهتماما كبيرا بالقارئ وخاصّة في المقاربات النّصّيّة الحديثة من خلال نظريّة التّلقّي لتي فتحت آفاقا جديدة في مجال التّأويل، وبرؤية جديدة لهذا المصطلح من خلال فيلسوف التأويل هانز جيورج غادامير(Hans-Georg Gadamer)، والذي كان له تصور خاص لهذا المصطلح، واستطاع بذلك أن يفتح حوارا تأويليّا بين النّص في حدّ ذاته كقطب ثابت، وبين المتلقّي كعنصر جمالي، وهذا من خلال مشروع فلسفيّ هيرمنيوطيقي .

إنّ الحديث عن القطب الفنّي (النص) وحدود التّأويل يقودُنا حتما إلى الحديث عن جدليَّة العلاقة القائمة بين النصّ، وعملية التَّأويل في حدّ ذاتها، باعتبار تغير بعض المفاهيم الّتي لها ارتباطٌ وثيق بهذا المصطلح الجدير بالدِّراسة، ولفهم هذه الجدلية يجب أن نتساءل : أين تكمن حقيقة حدود التأويل؟ هل في ممارسة فعل التأويل أم في النصّ المؤوّل في حد ذاته؟

سنقفُ في هذه المقال عند حدود التّأويل باختلاف مستوياته من خلال عملية التّأصيل له، وكذا عملية تخطِّي بعض المفاهيم الظّاهرية المألوفة إلى ما هو أكثر عمقا ونفاذا لحدود التَّأويل، مرورا بمصطلح تعدّد القراءات لمختلف النُّصوص باختلاف أنواعها، والّتي تشكله عملية تجاوز النصّ المغلق إلى النصّ المفتوح، وهذا من خلال القطب الجمالي الّذي يشكله المتلقي الّذي يعتبر عنصرا أساسا في عملية التأويل كما تراه مدرسة كونستانس الألمانية (Constance) من خلال تعدُّدِ المعاني والقراءات، والّذي يقود حتما إلى تعدُّد التَّأويلات داخل النص.

وقد وجدنا أنفسنا مجبرين على الوقوف عند أهم الآراء باختلاف أنواعها عربيّة كانت أو غربية، وقوفا عند أهم آراء الفيلسوف "هانس جيورج غادامير" Hans-Georg Gadamer من خلال نظرته الفلسفية إلى مصطلح " الهيرمينوطيقا"(Hermeneutics) (علم أو فن التأويل)، هذه النّظرة الفلسفية التي تتجسد في نظره من خلال جملة من

المصطلحات كالفهم والتَّفسير أو التّأويل والتّطبيق ويبقى النصّ حينئذٍ مجالا واسعا للتَّأويلات تجسِّدُه تباين الرُّؤى والدّلالات، وقد ذيلنا المقال بخاتمة كانت عصارة لما قد تطرقنا إليه في جوانبه المختلفة.

1-المهاد التأصيلي لمفهوم التأويل:

إنّ ظهور مصطلح " الهيرمينوطيقا" (Hermeneutics) لم يكن وليد فلسفة حديثة مرتبطة بالفكر الغربي الحديث، بل له امتدادات تأصلت في الفكر الفلسفي القديم الممزوج بالطابع الفلسفي الديني اللاهوتي، إذ كانت بوادر ظهور هذا المصطلح من خلال الكتب المقدسة حيث أشار أرسطو لهذا المصطلح من خلال كتابه" peri hermeneias" المرتبطة بعنصر المنطق من خلال إبراز فاعلية التأويل، ومدى تأثيره في النص من خلال إبراز دور المتلقي في عملية استدراجه للنص وفهمه.

اهتم أرسطو من خلال فلسفة التأويل بمفهوم الجمال في استقبال النص، وسار على دربه كثير من النقاد، فرواد الفكر والأدب ينزعون إلى أحكامه، ويأخذون منها، فالهيرمينيوطيقا عند أرسطو هي مجموعة من التصورات التي يقوم بها الذهن والتي تتصف بصدق ما تقوم به العملية الأولى للفكر من خلال تحليل المعرفة الخلقية لفهم النصوص الفلسفية التي سبقه إليه بعض الفلاسفة.

تحدث أرسطو عن القطب الجمالي من خلال ارتباطه بعنصر المحاكاة، فهو يرى أنّ الشاعر مرتبط بالحقيقة وبالواقع من ناحية، وبالجمهور المتلقي من ناحية أخرى، إذن يمكن أن يحدث نوع من التفاعل بين القطب الفني الذي يشكله النص؛ وبين القطب الجمالي الذي يشكله المتلقّي، هذا التفاعل الذي يولّد نوعا من معنى المعنى في استقبال نص آخر متصف بنوع من الاستيتيقيا النصية، والذي يتفاعل معه كثير من القرّاء من أجل خلق قراءة جماهيرية تتباين وتتعدد فيها المفاهيم والقراءات من خلال التفرد بعنصر التأويل حسب كوامن الطاقة الإبداعية لدى كل قارئ لهذه النصوص، ومحاولة إعطائها

مفاهيم متعددة وأبعادا جمالية تتّصف بالديمومة وسيرورة العمل الفني الإبداعي الذي يستقطب جمهورا من القراء.

إن هذا المصطلح(Hermeneutics) الذي راح يستهوي كثيرا من النقاد الغربيين والذي يعني التأويل والذي هو متأصّل في التراث الإغريقي كما أشرنا إليه سلفًا وهذا نسبة إلى " هرمس" رسول الآلهة عند الإغريق.

لقد كانت فلسفة التأويل عند أرسطو سبيلا إلى الربط بين النص في حد ذاته؛ وبين المتلقي من خلال عنصر التأويل، فالشاعر مرتبط بالحقيقة من ناحية وبجمهور المتلقي من ناحية أخرى " فالجمهور اليوناني مثلا كان يعتقد في معجزات الآلهة وفي الأساطير، وهذه أمور مستحيلة عقلا في ذاتها...ولكن لتقبل الجمهور لها كان للشعراء أن يصوروها ويروووها لا على وجه أنّها أمثل، ولا على وجه الصدق، بل كما يقول (كسينو فانس) على وفق الرأي الشائع "[1].

إنّ العمل الأدبي الإبداعي سواءٌ أكان شعرا أم نثرا يهدف إلى تحقيق غاية إقناعية أو إمتاعية تخص السامع من خلال تعدّد الرؤى وتباين المفاهيم، ومن خلال الذات القارئة والذات المتلقية أي عملية فك شفرات النص وجعل النص المغلق نصا مفتوحا على أفق أرحب وأوسع تستقطبه القراءة الجماهيرية الغارقة في ذات المتلقي، وإعطاء النص بعدا جماليا استيتيقيا.

لا يمكن الإشارة إلى مفهوم التأويل والتقعيد له دون أن نشير إلى عملية قراءات النصوص الدينية المقدسة، وخاصة الإنجيل والقرآن والتوراة ...إلى عملية إخراج النص بأنواعه المختلفة ممَّا هو على حقيقته إلى ما يمكن أن يكون عليه، فالتأويل هو " إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية"[2].

تعني كلمة الهيرمينوطيقا (Hermeneutics) علم أو فن التأويل، إنها " فن امتلاك كلِّ الشروط الضرورية للفهم"[3]. ويعتقد كثير من الدارسين أن الهيرمينوطيقا (Hermeneutics) ظلت مقتصرة في بدايتها الأولى على عملية فهم النصوص وتفسيرها

محاولة في ذلك إزالة شيئ من الغموض والإبهام في بعض النصوص المظلمة، ومحاولة تنوير القراء بما يحتاجونه من معانٍ لتبسيط ما هو مبهم وغامض، وبذلك تسعى إلى محاولة استنطاق ما هو صامت، وتحريك بعض المفاهيم الجامدة المتصلبة في بعض النصوص المغلقة من خلال القارئ الذي ترجم هذا الفعل الهيرمنيوطيقي، واستكشف ما هو قابل للاستكشاف.

والمتتبع لمجال التأويل في الدراسات النقدية يظهر له مفهوم الهيرمنوطيقا (Hermeneutics) من خلال" عملية الكشف عن المعنى الحرفي (Le sens littéral) وتحديده كانت تصاحبها "عملية البحث عن المعنى المجازي (Le sens allégorique) الذي يكمل المعنى الحرفي ويتجاوزه"[4]، ومنه كانت عملية تجاوز المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي من خلال عملية الفهم والإفهام.

وعليه صارت فكرة التأويل ظاهرة فكرية فلسفية متعددة الاتجاهات والمذاهب، فمع (رولان بارت-Roland Barthes) كان موت المؤلف وخلود القارئ، ومع أومبرتواكو (Umberto eco) كان فتح آفاق التأويل على اللامحدود واللامحدد الذي سبق بارت وتجاوزه، ومن هنا فإنّه يلزم تتبع عملية التأويل باختلاف معانيها من خلال الشرح والتأويل والتفسير، وهذا بتجاوز القراءة السطحية إلى القراءة الواعية المتنوعة التي تتعدد فيها المعاني والمفاهيم من خلال فهم الفهم، واستجداء عملية البحث عن معنى المعنى، وبهذا فإنّ عملية التأويل تكون ذات بعد موضوعي بعيدة عن عملية الانحياز قريبة من عدالة فهم الفهم.

إنّ المؤلف من خلال كتاباته المختلفة يحاول أن يبني نصه وفق ما تقتضيه البنيات النصية ويحققها محاكيا أو مبدعا، وهذا ما يؤكده هانس جيورج غادامير (Hans Georg Gadamer) بقوله: " إنّ الفهم وبفعل حلقات متمركزة يوسع ويجدد الوحدة الحقيقية للدلالة الشاملة والنهائية باعتبارها معيار الفهم"[5].

2-النص وجماليات التلقّي:

إنّ الصراع الهادف القائم بين المناهج النقدية وبعض النظريات المعرفية وخاصة الغربية منها أوجد أفقا واسعا في ميلاد بعض الآراء الحديثة من خلال بعض التفاعلات ومنها التفاعل القائم بين القطب الفني الذي يمثله (النص) والقطب الجمالي الذي يشكله (المتلقي) من خلال ظهور نظرية جمالية التلقي مع مدرسة كونستانس (Konstanzer Schule) الألمانية ممثلة في آراء(هانس روبرت ياوس) (Hans Robert Jauss) و(فولفانج إيزر) (Wolfgang-Isère)، وقد حاولا التأسيس لفكر نقدي قائم على العنصر الاستيتيقي (aesthetics) ذي البعد الجمالي المعرفي، وهذا بإضافة بعض العناصر الإبداعية الجديدة للنص الأدبي ومحاولة إزالة بعض الغموض والكشف عن معنى المعنى من خلال عنصر التأويل وهذا بالتركيز على طرف أساسي في العملية الإبداعية ممثلا في القارئ من خلال القراءة الجماهيرية إذ صاغ هانس روبيرت ياوس (Hans Robert Jauss) نظرياته – جماليات التلقي – " انطلاقا من النظريات التي تتعلق بالمعنى والعمل الإبداعي ووظيفته وموقف المتلقي من العمل وصلته به والمبادئ التي تنظم هذه الصلة"[6]، وهنا يمكن أن يجتمع عنصر الجمال لدى المتلقي وعنصر استعادة الخبرات السالفة إذ أن مفهوم التلقي " معنى مزدوج يشمل معا الاستقبال أو التملك والتبادل، كما أن مفهوم الجمالية هنا يقطع كل صلة بعلم الجمال وكذا بفكرة جوهر الفن"[7].

وقد حاول هانس روبيرت ياوس (Hans Robert Jauss) النهوض بالأدب الألماني من خلال إبراز دور المتلقي سالكا بذلك المنحى التاريخي محاولا التوفيق بين المدرسة التاريخية الماركسية القائمة على مبدأ الانعكاس والمدرسة الشكلانية الروسية القائمة على عنصر الجمال، وذلك من خلال" تأويل العمل الأدبي مستندا في ذلك إلى افتراضات هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) في العملية التأويلية، حيث تخضع إلى ثلاث وحدات متلازمة وهي الفهم والتفسير والتطبيق"[8].

يظهر مما سبق أن هانس روبيرت ياوس (Hans Robert Jauss) اهتم اهتماما كثيرا بالمتلقي وركز اهتمامه على التلقي التاريخي للنصوص من خلال مصطلح التاريخانية

(Historicism)، وهو مذهب نصادفه في كثير من المناقشات المتصلة بمنهج العلوم الاجتماعية تفترض أنّ التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية، كما تفترض إمكان الوصول إلى هذه الغاية، بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الأنماط أو الإيقاعات التي يسير التطور التاريخي وفقا لها"[9].

فالناقد بوبر من خلال ذلك يرى أن التاريخانية تأخذ معنى التطور من خلال البحث عن القوانين المتنامية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بما هو آت من التوقعات المستقبلية من خلال أن لا شيء قابل للتطور وقد ارتبطت نظرية التلقي بفلسفتين هامتين:

الظاهراتية:

لقد ارتبطت جمالية التلقي بهذه الفلسفة من خلال كثير من الفلاسفة ومن أبرزهم"هوسرل" (Edmund Husserl) و"انغاردين" (Roman Ingarden) إذ ربط إدموند هوسرل" (Edmund Husserl) تلقي الأشياء من خلال الفهم الذاتي أو التلقي الذاتي، إذ يعد هذا الأخير مؤسسها الأول في ألمانيا(1859/1938م)، متأثرا بالشك الديكارتي، من خلال المذهب الفلسفي الذي يهتم بدراسة الظواهر دراسة وصفية، وهذا بالبحث عن الجوهر والماهية والمعنى.

الهيرمينوطيقا:

يرى هانس روبيرت ياوس (Hans Robert Jauss) أن الذات المتلقية لها دور فعال في بناء المعنى من خلال آراء الفيلسوف هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) في مفهوم التأويل من خلال اكتشاف المعنى الصحيح للنصوص وهذا من خلال أعمال الفهم وإعادة الاعتبار للتاريخ مما يدل دلالة واضحة على تركيز هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) على ذات القارئ كقوة فاعلة وفعالة في عملية الفهم وعليه فإن القارئ يقوم بتحريك العمل الأدبي كقوة فاعلة خارج النص " فعناصر النص

تهاجر نحو أقاليم أخرى بحكم التجاوز والإحالة الرمزية والتذكير والتلميح"[10]، وبالتالي التركيز على ذاتية القارئ من خلال التركيز على مواطن الجمال في النص باختلاف أنواعه لأن" الجمال هو قدرة الكلام الأدبي على تحقيق الإدهاش والإبهار والمتعة الفنية في نفس المتلقي على نحو معرفي يتأسس على الإبداع والتقويم المنظم الذي يسعى إلى اكتشاف عناصر الجمال فيه"[11].فالجمال إذن مرتبط بالمتلقي الذي يستطيع أن يرسم لوحة إبداعية فنية يكشف من خلالها المنطق الجمالي للعمل الأدبي.

3-حدود التأويل عند هانس جيورج غادامير(Hans-Georg Gadamer):

هانس جيورج غادامير(Hans-Georg Gadamer) : فيلسوف ألماني ولد في 11 فيفري 1900 في ماربورغ (Marburg) بعد وفاة الفيلسوف رينيه ديكارت (René Descartes)، والذي تأثر فيه بالمنهج الديكارتي ومن خلاله استطاع تجنيد الشك النتشوي، واستنادا إلى فلسفة أستاذه مارتن هيدغر(Martin Heidegger) حول مصطلح التناهي الإنساني والتي أخذت الحلقة الأكبر في تأويلية هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer)، كما تأثر بكثير من الفلاسفة الذين سبقوه فبدأت بوادر كتاباته الأولى تظهر من خلال كتابه"الحقيقة والمنهج" سنة 1960، كذلك تأثر بـإدموند هوسرل (Edmund Husserl) و مارتن هيدغر(Martin Heidegger) من خلال دراساته للفلسفة وإعجابه الكبير بالفلسفة الوجودية، والتي انبنت عليها فلسفته التأويلية.

إنّ مصطلح الهيرمينوطيقا ارتبط ارتباطا وثيقا بالفيلسوف "هانس جيروج غادامير" (Hans-Georg Gadamer) من خلال الوقوف عند حدود التأويل، والذي حاول أن يبدأ به وينتهي عنده في خضم حديثه عن جملة من العناصر المكونة لمصطلح الهيرمينوطيقا منها الفهم والتفسير والتأويل وكذا الوقوف عند حدود التأويل الذي يعتبر إحدى مقومات هذا المفهوم من خلال التأصيل له .

وقد حاول "هانس جيورج غادامير" (Hans-Georg Gadamer) من خلال الحديث عن هذا المصطلح فتح مساحة أرحب وأوسع أمام القارئ لكي يفجّر طاقاته الإبداعية، وبالتالي تجاوزُ وتخطّي المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي تتبلور فيه جملة من أفكار القارئ المبدع حسب الكفاءات والقدرات التي تحدث من خلال عملية القراءة الواعية ووفق قانون التأويل،حيث تكون موهبة القارئ تابعة لقدرته لتجاوز النص المغلق إلى النص المفتوح الذي تتعدد فيه القراءات والتأويلات دون الخروج عن المهاد التأصيلي لجذور التأويل إذ يمكن القول: إنه " مهما تباينت هذه القراءات فيما بينها فإنه من الممكن دائما أن نرجع العمل الأدبي إلى البنية التي أنشأته وإلى أصله الأول أو إلى جذره العميق الذي يضمن وحدة أجزائه ووحدة معانيه المتفرقة"[12].

وعليه لا يمكن تجاوز ما يحمله النص من معنى حقيقي لا يخرج عن إرادة النص، وإنما البحث عن معنى المعنى من خلال الوقوف عند حدود التأويل المضبوطة لمعايير جمالية تفوق حدود هذا النص لتحقيق ما يريده المتلقي في إعادة تشكيل وبناء النص في حلة أنيقة مضبوطة بعنصر الجمال.

إن حقيقة مفهوم التأويل عند هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) هو أنّ " المنطقية تمنح الفهم وجوده الملموس إنه(أي التفسير) الشكل الخارجي للفهم، ويمكن أن يكون هذا الشكل لغويا كما يمكن أن يكون غير ذلك"[13]، وعليه التَّأويل حسب هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) هو وسيط لغوي لا يمكن الولوج إلى أغوار الفهم إلا به، ومن هنا يمكن أن نقول: إنّ الوصول إلى حقيقة الفهم مرهون بالعبور على عنصر التأويل الذي يعتبر بداية تجاوز الغموض والإبهام وتخطي عقبة المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وبالتالي يمكن أن نجسد عمق أفكارنا على النص المقروء، فيكون التطبيق خارج حدود النص، إذ " يكون هذا التطبيق بالضرورة نتيجة للتفاعل بين أفق النص والأفق الراهن للمفسر، وسوف يؤثر بالضرورة على ذات المفسر في مفاهيمه وفي واقعه اليومي"[14].

ويرى "هانس جيورج غادامير" (Hans-Georg Gadamer) أنّ الفهم في حد ذاته إبداء الفهم تجاه شيء، وعليه يكون الفهم إحدى المراحل الأولى في البنية التكوينية لعلم التأويل إذ يرى أن " الهيرمينوطيقا بوصفها نشاطا كلّيّا عامّا يجعل من الفهم لأول مرّة مشكلة أساسية وعامة معًا بالضرورة وتبدع أساسا نظريّا للهيرمنوطيقا"[15]، فالفهم عنده " ينشأ انطلاقا من الكل المشكِّلِ ليس فقط من العوامل الموضوعية، وإنّما أيضا من ذاتية المؤلف"[16]، ومفهوم التطبيق عنده" لا يعني تطبيق ضبط شيء ما لمعطى قبلي من أجل تخليص خيوط وصفية خاصة، لا يحاول المؤول وبحضور نص ما، تطبيق معيار عام لحالة خاصة، وإنّما ينصب اهتمامه على الكشف عن دلالة أصلية متوارية خلف المكتوب المراد معالجته"[17]، إذ حاول هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) من خلال هذا المصطلح أن يكون موضوعيا إلى حدّ بعيد محاولا بذلك استجداء صورة العقل الموضوعي والتخلص من الطابع الذاتي النفسي الذي يرهن عملية الفهم وبالتالي عملية التأويل في حد ذاتها إذ يبدو صريحا من خلال ربط النص بجوانب تاريخية تتحدد من خلاله أهداف العملية الإبداعية إذ أن مرجعية تأصيل فكرة التأويل " ليست ما يجب أن نفعل أو نتجنب في عملية الفهم بل الأحرى الاهتمام بما يحدث بالفعل في هذه العملية"[18]، محاولا بذلك تجاوز المعنى الظاهر وخلق معنى إضافي للنص المقروء في حينها يكون إضافة معنى إلى معنى.

ينظر "هانس جيورج غادامير" (Hans-Georg Gadamer) إلى النص على أنه فعل مستقل عن جميع عناصر الكتابة التي تشكله محاولا بذلك فهم ما يقوله النص وإخراجه إلى الجمهور عبر طرف ثالث هو المتلقي وبالتالي يتحقق تفاعل القطب الفني الذي شكله النص مع القطب الجمالي الذي يحدده المتلقي وعليه لم تكن عملية الفهم كما كانت لدى فردريك شلاير ماخر (Friedrich Schleiermacher) و فيلهلم دلتاي (Wilhelm Dilthey)، إذ نجد أن "هانس جيورج غادامير" (Hans-Georg Gadamer) " لا يعارض إقرار الممارسة التأويلية لمقولتي الحياة الذاتية للمؤلف والقارئ الأصلي، مؤكدا في مقابل

ذلك أن فعل الكتابة يفصل النص عن عريضة أصله ومبدعه"[19]، وفي حديثه عن تجنب كل ما هو ذاتي نفساني مرتبط بذات المؤلف وتجاوزه إلى أفق القارئ الموضوعي من خلال أن المعنى في حد ذاته لا يكون حتما مرتبطا بالماضي فقط، وعليه يمكن أن نتجاوز عملية التأويل في بعدها التاريخي وفقط، بل يمكن أن نربطها بوضعية ما مستقلة بذاتها وتؤدي معنى آخر بعيدا عما هو تاريخي ظاهري إذ يرى أنه " لا يمكن للمعرفة التاريخية أن توصف بنماذج المعرفة الوضعانية،لأنها في حد ذاتها عبارة عن تطور يتمتع بكل خاصيات الحدث التاريخي، ينبغي أن يدرك الفهم على أساس أنه فعل الوجود بمعنى أنه مشروع ملقى"[20]، ويمكن أن نفهم من ذلك أن هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) حاول أن ينطلق من ما هو عام إلى ما هو خاص أي على ضوء الكل تتحد جميع الأجزاء ويمكن أن يقوم عنصر الفهم على ما هو قبلي لنستطيع أن نفهم ما هو بعدي وبالتالي البعد التاريخي لامناص لتهميشه وتجاوزه كما أن عنصر التأويل لا يتحقق إلا بعنصر التطبيق الذي هو مهم في عملية فهم النص .

و لهانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) فلسفةٌ خاصة في نظرته لعملية التأويل، والذي" هو بمعنى معين إعادة إبداع ولكنَّه ليس إعادة إبداع لفعل الإبداع، وإنّما العمل الإبداعي الذي يجب أن يمثل بصورة منسجمة مع المعنى الذي يجده المؤول فيه"[21].

وعليه يرى هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) أنّ التأويل في حد ذاته مرتبط بالعملية الإبداعية التي تشكل عنصرا فنيا في صورة منسجمة مع المعنى المراد تحقيقه، كما أن التأويل في نظره " يعني تقديم الأفكار الضرورية من أجل فهم فقرة ما فهما نموذجيا ...ففي التأويل يجب على المرء أن يكيِّف نفسه مع بصيرة الدارس"[22].

إن التأويل بهذا المنظور هو إعادة بلورة هذه الأفكار وفهمها فهما مثاليا ممّا يتماشى مع يتضمنه فهم القارئ للنص من خلال كشف هويته واستنطاقه ومحاورته، فهو بهذا المفهوم "مثله مثل المحادثة، دائرة مغلقة بجدل السؤال والجواب، إنّه سلوك حياتي

تاريخي أصيل تحقق من خلال ، وبوسعنا أن ندعوه محادثة فيما يتعلق بتأويل النصوص أيضا، إنّ لغوية الفهم هي تجسيد للوعي المتأثر تاريخيا"[23].

ومن هذا المنطلق يمكن القول: إنّ التأويل يماثل إلى حد بعيد فعل المحادثة بين القارئ والنص، من خلال سلسلة تاريخية يتجسد من خلال مصطلح التاريخانية الذي رأيناه سابقا.

إن مصطلح التأويل هو عنصر محايث لمصطلح التفسير، وهذا ما يظهر في قول هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer): " فكل تفسير يريد أن يسمّي نفسه تأويلا"[24]، وفي خضم تساؤله عن مصطلح التفسير(التأويل) يراه أنه" ليس شيئا ماثلا للشرح الذي يستخدم التصورات وإنّما هو يشبه إلى حد كبير فهم وإيضاح شيء ما"[25]، كما أن العلاقة بين الفهم والتأويل تربطهما وشائج قوية ومتينة ترقى بهما إلى مستوى العملية الإبداعية، وهذا ما يؤكده هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) بقوله: " فالفهم والتأويل مرتبطان معا في علاقة لا يمكن فصمهما[26]".

إن الهيرمينوطيقا (Hermeneutics) الحديثة انطلقت من قاعدة مفادها أننا لا نملك شيئا ما دمنا لا نفهم معناه وعليه إن عملية التأويل تنطلق من عملية استجلاء المعنى الحقيقي لما نريد أن نصل إليه من خلال عنصر التساؤل لأنه جوهر الشيء الذي يكشف عن أفكارنا تماشيا مع الفكر التأويلي الذي يتطلب القدرة والكفاءة.

خاتمة:

يمكن أن نخلص في نهاية هذا المقال إلى :

- العملية التأويلية في حد ذاتها من خلال الحدود التي قال بها هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعملية الإبداعية التي تشكل حدثا فنيا يتحدد من خلال الارتباط الوثيق بين عنصر الفهم والتفسير والتطبيق في آن واحد.

-إن الهيرمينوطيقا (Hermeneutics) في نظره يجب أن تتجرّد من البعد النفساني الذاتي الضيق إلى أفق أوسع وأرحب يحققه الأفق الموضوعي القائم على الجانب الموضوعي .

- الهيرمينوطيقا (Hermeneutics) عند هانس جيورج غادامير (Hans-Georg Gadamer) انطلقت من الكل لأن على ضوء الكل تتخذ الأجزاء وظيفتها التوضيحية.

- التجربة التأويلية تضمن كينونتها بفضل عامل التطبيق الذي يعدّ عنصرا مهما في فهم النص الذي يظهر للمتلقي بطريقة مختلفة.

- عنصر التأويل يتجاوز كل ما هو أحادي الرؤيا إلى معنى أشمل وأعم من خلال معنى المعنى.

- عمليةُ التأويل تقوم على عنصر التفسير الذي يعتبر اللبنة الأولى ثم عنصر الفهم الذي بفضله تتحقق عملية الممارسة التأويلية.

الهوامش:

1)- هلال محمد غنيمي،النقد الأدبي الحديث،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دط،القاهرة، 1997،ص58.

2)- ابن رشد، فصل المقال، ضبط وتعليق الدكتورسميح دعيم، دار الفكر اللساني،دط، بيروت، 1994، ص43.

3)- نصر حامد أبو زيد ،القوة وآليات التأويل،المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب ، 1994، ص13.

4) عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة"دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الإختلاف، ط1 ،الجزائر، 2007، ص 24.

5)- هانز جيورج غادامير، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ. الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر، 2006،ص 41.

6)- ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط1،عمان، الأردن، 1997،ص 133.

7)- هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر: رشد بنحدو ، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، لبنان ، 2016، ص109

8)- ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقّي، ص135

9)- كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، تر: عبد الحميد صبره، دار الساقي، ط1، بيروت، لبنان، 1992،ص13.

10)-سعيد بنكراد،السيميائيات والتأويل،مدخل السيميائيات،ش، س، بورس، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005،ص171.

11)- علي الصليبي مجيد المرسومي، الشاعر العربي الحديث ناقدا، نقد الفكر، النقد الثقافي،النقد الجمالي،دار غيداء للنشر والتوزيع،ط1،عمان، الأردن، 2016،ص166.

12)- حسين مصطفى سحلول، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياه،اتحاد كتاب العرب، ط1، دمشق، سوريا، 2001، ص87.

13)- عبد العزيز بوالشعير، غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، 2001، ص22.
14) -عبد الكريم شرفي،من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص22.
15)- عبد العزيز بوالشعير، غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، ص24.
16)- غادامير، فلسفة التأويل، ص41.
17) - نفسه، ص 39.
18)-نصر حامد أبو زيد، الهيرمنوطيقا-معضلة تفسير النص، مجلة فصول، العدد 3، مجلد 1، 1981،ص153.
19)- عبد العزيز بو الشعير، غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم،ص28.
20)- هانز جيورج غادامير،فلسفة التأويل (الأصول ، المبادئ الأهداف) تر: محمد شوقي الزين ، منشورات دار الاختلاف، ط2، الجزائر، 2006، ص39، 40.
21)-هانز جيورج غادامير، الحقيقة والمنهج- الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية-، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، طرابلس، ليبيا، 2007، ص 194.
22) -نفسه، ص 269.
23) - نفسه، ص512.
24)- هانز جيورج غادامير، التلمذة الفلسفية، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 ، لبنان، بيروت، 2013، ص 299.
25) -هانز جيورج غادامير، تجلي الجميل، تر: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، دط، مسقط، عمان، 1997، ص 165.
26)- هانز جيورج غادامير، الحقيقة والمنهج- الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية-، ص 522.

*** *** ***